



2 ديسمبر 2019
كتب: عامر شماخ

عد دعوة الإخوان المسلمين في حقيقتها امتدادًا لجهود كبيرة بذلها أفراد وحركات عدة في طريق اليقظة الإسلامية. ولهذا فإن جماعتنا جاءت لتلقى عندها آمال الجميع: الدعاة على اختلاف وسائلهم، والمصلحين بشتى مذاهبهم والشعوب المستضعفة التي لا حول لها ولا قوة، فالجماعة تخاطب كل هؤلاء فهي:

- 1- دعوة سلفية.. إذ يدعو الإخوان المسلمون إلى العودة إلى الإسلام، إلى معينه الصافي من الكتاب والسنة.
- 2- طريقة سنية.. لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء، وبخاصة في العقائد والعبادات، ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا.
- 3- حقيقة صوفية.. إذ يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، وسلامة الصدر، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والأخوة فيه سبحانه.
- 4- هيئة سياسية.. لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل، وتعديل النظر في صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد.
- 5- جماعة رياضية.. يعتنون بالصحة، ويعلمون أن المؤمن القوي هو خير من المؤمن الضعيف، وأن تكاليف الإسلام لا تؤدى إلا بالجسم القوي، والقلب الزاخر بالإيمان، والذهن ذي الفهم الصحيح.
- 6- رابطة علمية وثقافية.. فالعلم في الإسلام فريضة يحض عليها وعلى طلبها، ولو كان في الصين، والدولة تنهض على الإيمان والعلم.
- 7- شركة اقتصادية.. فالإسلام يُعنى بتدبير المال وكسبه، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: "نعم المال الصالح للرجل الصالح"، "من أمسى كالأمن عمل يده أمسى مغفورًا له".
- 8- فكرة اجتماعية.. يعنون بأدواء المجتمع، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها.

نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملة رايته

نحن- كما قال الإمام الشهيد حسن البنا- لسنا حزبًا سياسيًا، وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا، ولسنا جمعية خيرية إصلاحية، وإن كان عمل الخير والإصلاح من أعظم مقاصدنا، ولسنا فرقًا رياضية وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا.

لسنا شيئًا من هذه التشكيلات، فإنها جميعًا تبرّرها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة، وقد لا يوحى بتأليفها إلا مجرد الرغبة في تأليف هيئة والتحلي بالألقاب الإدارية فيها.

ولكننا أيها الناس: فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحده موضع، ولا يقيد جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافي، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ وذلك لأنه نظام رب العالمين ومنهاج رسوله الأمين.

نحن أيها الناس- ولا فخر- أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشرو منهاجه كما نشره، وحافظو قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا، ورحمة الله للعالمين.

(انظر: رسالة الإخوان المسلمين تحت راية القرآن، ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 1988م).

نحن روح جديد يسري في قلب هذه الأمة، فيحييه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله، وصوت داوٍ يردد دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الحق الذي لا غلو فيه أننا نشعر أننا نحمل هذا العبء بعد أن تخلّى عنه الناس.

فالإخوان هم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، والعقل الجديد الذي يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل في وقت التنس عليها فيه الحق بالباطل، وهم دعاة الإسلام، وحملة القرآن، وصلة الأرض بالسماء، وورثة محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاء صحابته من بعده، وبهذا فصلت دعوتهم الدعوات، وسمت غاياتهم على الغايات، واستندت إلى ركن شديد، واستمسك أصحابها بعروة وثقى لا انفصام لها، وقد أخذوا بنور مبين، في وقت التبيست على الناس المسالك وضلوا السبيل: (انظر رسالة المؤتمر السادس، مجموعة الرسائل، المرجع السابق).

لقد فهم الإخوان المسلمون الإسلام فهمًا نقيًا صافيًا سهلًا شاملاً كافيًا وافيًا، يسائر العصور، ويفي بحاجات الأمم، ويجلب السعادة للناس، بعيدًا عن جمود الجامدين وتحلل الإباحيين وتعقيد المتفلسفين، لا غلو فيه ولا تفريط، مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيرة السلف الصالحين استمدادًا منطقيًا، بقلب المؤمن الصادق، وعقل الرياضي الدقيق، وقد عرفوه على وجهه: فهو عقيدة وعبادة، ووطن وجنس، وخلق ومادة وسماحة وقوة، وثقافة وقانون، كما اعتقدوه على حقيقته.. دين ودولة، وحكومة وأمة، ومصحف وسيف، وخلافة من الله للمسلمين في أمم الأرض أجمعين: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: من الآية 143).

الإخوان لا يخشون أحدًا إلا الله

والإخوان لا يقادون برغبة ولا برهبة، ولا يخشون أحدًا إلا الله، ولا يغريهم جاه ولا منصب، ولا يطمعون في منفعة ولا مال، ولا تعلق نفوسهم بعرض من أعراض هذه الحياة الفانية، ولكنهم يبتغون رضوان الله ويرجون ثواب الآخرة، ويتمثلون في كل خطواتهم قول الله تبارك وتعالى: (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)) (الذاريات: 50)، فهم يقرون من كل الغايات والمطامع إلى غاية واحدة، ومقصد واحد هو رضوان الله، وهم لهذا لا يشتغلون في مناهج غير مناهجهم، ولا يصلحون لدعوة غير دعوتهم، ولا يصطبغون بلون غير الإسلام.. (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَتَخُو لَهُ عَابِدُونَ (138)) (البقرة)؛ فمن حاول أن يخدعهم خُدع، ومن أراد أن يستغلهم خسر، ومن طمع في تسخيرهم لهواه أخفق، ومن أخلص معهم في غايتهم ووافقهم على متن طريقهم سعد بهم وسعدوا به، ورأى فيهم الجنود النبلاء والإخوة الأوفياء، يعذونه بأرواحهم، ويحوطنونه بقلوبهم وجهودهم، ويرون له بعد ذلك الفضل عليهم (انظر رسالة المؤتمر السادس).

ولبست دعوة الإخوان بدعًا في الدعوات، فهي صدى من الدعوة الأولى بدوي في قلوب هؤلاء المؤمنين، وبتردد على ألسنتهم، ويحاولون أن يعذفوا به إيمانًا في قلوب الأمة المسلمة؛ ليظهر عملاً في تصرفاتها ولتجتمع قلوبها عليه (انظر: رسال دعوتنا في طور جديد).

هذه حقيقتنا أيها الناس

يخطئ من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة "دراويش"، قد حصروا أنفسهم في دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسيب، فالمسلمون الأولون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة، ولم يؤمنوا به على هذا النحو، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة، ووطنًا وجنسية، وخلقًا ومادة، وثقافة وقانونًا، وسماحة وقوة، واعتقدوه نظامًا كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة، وينظم أمر الدنيا كما ينظم أمر الآخرة، اعتقدوه نظامًا عمليًا وروحيًا معًا؛ فهو عندهم: دين ودولة، ومصحف وسيف.. وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون في أداء فرائضهم لربهم، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذي أمر به وفي الحدود التي وضعها لهم، في غير غلو ولا سرف، فلا تنطع ولا تعمق، وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذي لا يضرب بأخرتهم.

نحن أشد الناس إخلاصًا لأوطانهم

ويخطئ من يظن أن الإخوان يبتزّمون بالوطن والوطنية، فالمسلمون أشدّ الناس إخلاصًا لأوطانهم وتفانيًا في خدمة هذه الأوطان، واحترامًا لكل من يعمل لها مخلصًا، وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط في أي شبر يقطنه مسلم جريمة لا تغفر حتى يعيده أو يهلكوا دون إعادته ولا نجاه لهم من الله إلا بهذا.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة كسل أو إهمال، فالإخوان يعلنون في كل أوقاتهم أن المسلم لا بد أن يكون إمامًا في كل شيء، ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق في كل شيء، في العلم وفي القوة وفي الصحة وفي المال، والتأخر في أي ناحية من النواحي ضارٌّ بفكرتنا مخالفٌ لتعاليم ديننا، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التي تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم فقط، وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأناية الشخصية، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئًا ولا يُعنى من أمر أمته بشيء، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" (انظر: رسالة إلى الشباب).

نحن دعوة ربانية عالمية متميزة

أما أنها ربانية، فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعًا أن يتعرف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها (انظر: رسالة دعوتنا في طور جديد).

وأما أنها عالمية؛ فلأنها موجهة إلى النساء كافة؛ لأن الناس في حكمها إخوة: أصلهم واحد، وأبوهوم واحد، ونسبهم واحد، لا ينفصلون إلا بالتقوى، وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابق وفضل شامل، فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية، ولا نشج على

عصية الأجناس والألوان، ولكننا ندعو إلى الأخوة العادلة بين بني الإنسان.

وأما أنها متميزة فلأن فكرتهم تشمل كل نواحي الإصلاح في الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته.

وهي فوق ذلك كله:

عوة علمية.. تقدر العلم الذي يجعله الإسلام فريضة من فرائضه، وقد وزن الإسلام مداد العلماء بدم الشهداء.

وهي وسطية وعملية وعقلانية واستقلالية.. فهي دعوة لا تغبل الشركه؛ إذ طبيعتها الوحدة، فمن استعد ذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء، فسبحر من ثواب المجاهدين، ويكون من المخلفين ويقعد مع القاعد، ويستبدل الله لدعوته قوماً آخرين.. (أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء). (المائدة: من الآية 54).

معتقداتنا

يعتقد الإخوان المسلمون أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن؛ فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعده من لب الإسلام ومن صميمه ويوصي بالإحسان فيه جميعه، وإلى هذا تشير الآية الكريمة.. (وانتج فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك) (القصص: من الآية 77).

وهكذا اتصل الإخوان المسلمون بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه، فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلي الشامل، وأنه يجب أن يهيمن على كل شؤون الحياة، وأن تصطبغ جميعاً به، وأن تنزل على حكمه، وأن تساير قواعده وتعاليمه وتستمد منها، ما دامت الأمة ترى أن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً، أما إذا فلدت غير المسلمين في بقية شئونها، فهي أمة ناقصة الإسلام، تضاهي الذين قال الله تعالى فيهم.. (أقنؤمئذون يتغنص الكتاب وكفؤرون يتغنص فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا جزئ في الحياة الدنيا وتؤم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) (البقرة: من الآية 85).

إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبداً، ولهذا يجب أن تستقي النظم التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي.

وإلى جانب هذا أيضاً يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام كدين عام انتظم كل شؤون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة، خصوصاً في الأمور الدنيوية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها (انظر: رسالة المؤتمر الخامس).

غاياتنا

يعمل الإخوان المسلمون لغايتين: غاية قريبة يبدو هدفها وتظهر ثمرتها لأول يوم ينضم فيه الفرد إلى الجماعة، أو تظهر الجماعة الإخوانية فيه في ميدان العمل العام، وغاية بعيدة لا بد من ترقب الفرض وانتظار الزمن وحسن الإعداد وسبق التكوين.

نأما الغاية الأولى فهي المساهمة في الخير العام أيًا كان لونه ونوعه، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت الظروف.

أما غاية الإخوان الأساسية.. أما هدف الإخوان الأسمى، أما الإصلاح الذي يريده الإخوان ويهيئون له أنفسهم؛ فهو إصلاح شامل كامل، تتعاون عليه الأمة جميعاً، وتتجه نحوه الأمة جميعاً، ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل.

إن الإخوان المسلمين يهتفون بدعوة، ويؤمنون بمنهاج، ويناصرون عقيدة، ويعملون في سبيل إرشاد الناس إلى نظام اجتماعي تناول شؤون الحياة جميعاً، اسمه "الإسلام"، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين؛ ليكون به من المنذرين، بلسان عربي مبين، ويريدون بعث الأمة الإسلامية النموذجية التي تدين بالإسلام الحق؛ فيكون لها هادياً وإماماً، وتعرف في الناس بأنها دولة القرآن التي تصطبغ به، والتي تدود عنه، والتي تدعو إليه، والتي تجاهد في سبيله وتضحي في هذا السبيل بالنفوس والأموال.

والإخوان المسلمون يعملون لتحتيا من جديد دولة الإسلام، ولتقوم في الناس حكومة مسلمة، تؤيدها أمة مسلمة، تنتظم حياتها شريعة مسلمة أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه؛ حيث قال: (نم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) (18) إتهم لئن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء للآلة ولي المؤمنين (19) (الجاثية).. (انظر رسالة المؤتمر السادس).